

# الإخلاص في العبادة شرط لقبولها

الإخلاص هو الذي ليس فيه ما يشوبه { مُحْلِّصاً لَهُ الدِّين } يقول: وبذلك أمر الله جميع الخلق، جميع الناس، وخلقهم كلهم. أمرهم قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ } أي وحده، وقال تعالى: { فَادْعُوا اللَّهَ مُحْلِّصِينَ لَهُ الدِّين } وقال تعالى: { قَاعِدُّ اللَّهُ مُحْلِّصًا لَهُ الدِّين } وقال تعالى: { قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُحْلِّصًا لَهُ الدِّين } . وغير ذلك: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها. استدل بقوله تعالى: { وَمَا حَلَّفْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } . ومعنى يعبدوني: يوحدونني، أي: يخلصون العبادة لي، أي يصرف جميع أنواع العبادة لله وحده. وهذا إذا عرفت أن الله تعالى أمر جميع الناس بالعبادة، وأنه خلقهم لأجل العبادة، ما خلقهم عينا ولا تركهم هملا. فالمعنى أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، أي: لا تقبل ولا يثاب عليها. العبادة فسرت بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وفسرت بأنها: غاية الحب مع غاية الذل، وذلك لأنها مشتقة من التعبيد، الذي هو التذلل، التذلل معناه: الخضوع والذل والانكسار، ومنه سمي المملوك عبدا. فال العبادة لله تعالى تتضمن التذلل له في جميع القراءات التي ينقرب بها إلى الله، هذا هو حقيقة التعبد، لا تسمى عبادة -يعني مقبولة- يثاب عليها إلا مع التوحيد، يعني إلا مع كونها لله وحده. فإذا أشرك في العبادة فسدت، يعني: كما أن الصلاة لا تقبل ولا تسمى صلاة مجزئة إلا مع الطهارة - وهي شرط من شروطها- فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة فسدت، وذلك لأن الشرك ينافي التوحيد، لا يكون الإنسان موحدا إلا إذا كانت أعماله كلها خالصة لله وحده، ليس فيها ما يشوب هذا الإخلاص. فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لأية مخلوق فقد أشرك، ومن أشرك بخط عمله، قال الله تعالى: { وَلَوْ أَشَرَكُوا لَهُبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } هذه الآية ساقها الله تعالى بعد أن ذكر ثمانية عشر نبيا، فالآيات التي قبلها في سورة الأنعام فيقول الله تعالى: { وَلَوْ أَشَرَكُوا } يعني هؤلاء الأنبياء { لَهُبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } وقال تعالى مخاطبا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشَرَكْتَ لَهُبِطَنَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ تَلَ اللَّهَ فَاعْبُدْ } -أي وحد- { وَكُنْ مِنَ السَّابِكِينَ } ؛ فدل على أن الشرك إذا دخل العبادة أفسدها وأحيط العمل، وصار صاحبه من أهل النار. قال الله تعالى- ذاكرا عن عيسى أنه قال: { اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارِ } فإذا دخل الشرك في العبادة أحبطها وأفسدها، وأبطل العمل، وصار صاحبه مشركا، ولم يستحق أن تسمى عبادته، بل عبادته حابطة، وتفصيل ذلك في كتب شرح التوحيد. فإذا عرفت أن الشرك إذا دخل العبادة أفسدها وأحيط العمل، وصار صاحبه من المخلدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، أي: معرفة التوحيد، الذي تكون به موحدا، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله فيه: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } سماه شبكة، أصل الشبكة: جبال يربط بعضها في بعض، ويجعل بينها فرج- يعني بين الجبلين- ثم تأتي الطيور وتحوها، فإذا دخلت مناقيرها أو مخالفتها في هذه الشبكة، انقضت عليها، فلم تستطع أن تخلص، فيأتي الصيادون وبمسكونها، فجعل الشرك بمنزلة الشبكة التي إذا دخلها صاده الشيطان، فإذا تخلص منها- وذلك بالتوحيد- نجا. لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله. ذكر هذه الآية لتدل على عظمة الشرك، وأن الشرك لا يغفر { إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } أي: لا يغفر أن يشرك به، ولكن يغفر الشرك، وأما الذنب التي دون الشرك فإنها تحت المسيئة، إن شاء الله غفرها ومحاها، وإن شاء عذب بها بقدرها. ولكن أهلها لا يخلدون في النار. وقد تكلم العلماء أيضا على أنواع الشرك، وقسموه إلى صغير وكبير، يعني شرك أكبر، وشرك أصغر، وزاد بعضهم على شرك خفي، لقوله صلى الله عليه وسلم: { أَخَوْفُ مَا أَخَافُهُ عَلَى أَمْتِي الشَّرْكَ الْخَفِيِّ } وفي رواية: { الشَّرْكُ الْأَصْغَرُ } وبينوا أقسام ذلك، وهي مذكورة في كتب التوحيد، وفي شروح كتاب التوحيد ولعلكم أن تقرءوه في كتاب التوحيد في باب الخوف من الشرك وفي أبواب أخرى.